قو افل العائدين

للشيخ خالد الراشد

المقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله وبياكم الله وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم. أسأل الله العظيم أن يجمعنا في دار كرامته إخواناً على خير، وأن يغفر ذنب المسلمين ويقبل توبة التائبين، وأن يهدي الحيارى ويغفر للأحياء وللميتين.

أمر الله عز وجل بالتوبة فقال:

"وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون"، ووعد بالقبول:

"وهو الذي يقبل التوبة عن عباده"، وعلّمنا رحمته فقال:

"لا تقنطوا من رحمة الله".

الباب الأول: عنوان اللقاء – قو افل العائدين

سيكون اللقاء من مقدمة وبداية وختام، وبينهما خمسة أخبار:

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب

سبحان مغير الأحوال

أترضى أن تكون مثل هذا

طريق المخدرات

هداية على يديه

الباب الثاني: أول الكلام – أهمية الذكروالتوبة

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر..."

يتبين أن الله يحب التائبين ويحب المتطهرين، وأن التائب مطرود من الذنوب ومقبول عند ربه، فالفرار إلى الله والانضمام إلى قوافل العائدين هو نجاة من المعاصي والهموم.

الباب الثالث: الخبرالأول – عبرة من قصص القو افل

قصة رجل في البصرة كان مع جارية، تعلم درس التوبة، واعتنق التوبة وعاش مستقيمًا، يظهر كيف أن الله يحب التوابين ويهدي من أراد الرجوع إليه.

الباب الر ابع: الخبرالثاني – سبحان مغيرالأحوال

قصة رجل تعرض لحادث سيارة كاد أن يزهقه الموت، فاستفاق على توبة نصوح، وغيّر الله أحواله من الضلال إلى الهداية.

الباب الخامس: الخبرالثالث – أترضى أن تكون مثل هذا

حديث عن قريب بعيد كان لا يصلي مطلقاً، وانتهى به الحال إلى الموت، معبرة عن العبرة في عدم المماطلة في التوبة.

الباب السادس: الخبرالر ابع – طريق المخدرات

قصة شاب غرق في المخدرات والفواحش، وتعرض للآلام الجسدية والمعنوية، فالتوبة والانضمام إلى قوافل العائدين أنقذته وهداه الله.

الباب السابع: الخبرالخامس – هدايتي على يدي

قصة شخصية الشاب مع ابنه سالم، وكيف غيّر الله قلبه، وأصبح ملتزمًا بالعبادات، مشاركًا ابنه في الصلاة، وهجر رفقة السوء.

الخاتمة

التوبة النصوح: ندم القلب، استغفار اللسان، ترك المعاصي بالجوارح، وعمل مستمر.

نصائح للانضمام إلى قوافل العائدين: الفرار من المعاصي، الالتزام بالعبادات، رفقة الصالحين، ومحاسبة النفس.

الدعاء الختامي:

"اللهم اجعلنا من التوابين، اجعلنا من المتطهرين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون."

النص الكامل للمحاضرة

قو افل العائدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حياكم الله وبياكم الله وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم الله أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخوانا على خرور متقابلين أسأله سبحانه أن يغفر ذنب المسلمين ويقبل توبة التائبين وأن يدل الحيارة ويهدي الظالمين ويغفر للأحياء وللميتين أمر الله عز وجل بالتوبة فقال وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعد جل في علاه بالقبول فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم فتح الرحمن فقال لا تقنطوا من رحمة الله أخرج مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إليه في اليوم مئة مرة وأوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى فرق معاصيهم لماتوا شوقا إلي ولتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين علي يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع يا من يرجى للشدائد كلهم يا من إليه المشتكى والمفزع يا من خزائن رزقه في قول كن فيكون والخير كله عندك أجمع ما لي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري إليك أرفع ما لي سوى قرعي لبابك حيلة فلئردت أي باب أقرع ومن ذا الذي أدعوه وأهتف بإسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع حاشات أن تقنط من فضلك عاصيا الفضل أجزل والمواهب أوسع عنوان اللقاء قوافل العائدين نعم قوافل العائدين وسيتكون اللقاء من مقدمة وبداية وختام وبينهما أخبار خمسة الخبر الأول لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب الخبر الثاني سبحان مغير الأحوال الخبر الثالث أترضى أن تكون مثل هذا الخبر الرابع طريق المخدرات الخبر الخامس هداية على يديه ثم الختام فإلى أول الكلام أول الكلام روى البخاري رضي الله عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم جل في علاه وهو أعلم بهم ما يقول عبادي قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويحمدونك فيقول جل في علاه هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وتحميدا وأكثر تسبيحا اللهم لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زيننا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين قال فيقول جل في علاه فما يسألوني قال فيقولون يسألونك الجنة قال فيقول هل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال فيقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد طلبا وأعظم فيها رغبة فأين المشمرون أين المشمرون قال فيقول فمما يتعوذون قال يقولون من النار قال فيقول هل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال فيقول كيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فأبشروا يا أهل هذه المجالس قال يقول ما لكم من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٌ فَيَقُولُ جَلَّةِ عُلَاهُ وَلَهُ قَدْ غَفَرْتُ هُمُ الْجُلَسَاءَ لَا يَشْطَى بِهِمْ جَلِيسَهُمْ نعم أبشروا يا أهل هذه المجالس فربكم ذو رحمةٍ واسعة اسمع مناد الله ينادي ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني أشد شوقًا لهم ألا من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني من ذا الذي أقبل عليَّ وما قبلته من ذا الذي طرق بابي وما فتحته من ذا الذي توكل عليَّ وما كفيته من ذا الذي دعاني وما أجبته من ذا الذي سألني وما أعطيته أهل ذكري أهل مجالستي أهل شكري أهل زيادتي أهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أقنطهم أبدًا من رحمتك إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب من أقبل عليَّ تقبلته من بعيد ومن أعرض عني ناديته من قريب ومن ترك لأجلي أعطيته المزيد ومن أراد رضاي أردت ما يريد ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد من صفى معي صافيته من أوى إلي آويته من فوض أمره إلي كفيته ومن باع نفسه مني اشتريته وجعلت الثمن جنتي ورضايم وعدٌ صادق وعهدٌ سابق ومن أوفى بعهده من الله يا فرحة التائبين بمحبة الله فيا فرحة التائبين بمحبة الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين الهج بحمده واهتف بشكره وقل اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شري ما صنع وأبوء إليك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قل أنا الميت الذي أحييته فلك الحمد قل أنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد أنا الصغير الذي ربيته فلك الحمد أنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد أنا الظالي الذي هديته فلك الحمد أنا الجاهل الذي علمته فلك الحمد أنا الجائع الذي أطعمته فلك الحمد لك الحمد كله ولك الشكر كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله لا إله إلا أنت يا ربي حمداً ليس غيرك يحمدون يا من له كل الخلائق تصمدون أبواب غيرك ربنا قد أوصدت ورأيت بابك واسعاً لا يوصده روي عم منصور بن عمار قان قال خرجت ليلةً وظننت أني أصبحت وإذا عليَّ لي فقعدت عند باب صغير فإذا بصوت شاب يبكي ويقول وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بنكالك جاهلاً ولا لعقوبتك متعرضاً ولا بنظرك مستخفاً ولكن سولت لي نفسي وغلبتني شقوتي وغرني سترك المرخي علي فالآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني وسوءتاه من أيامي في معصية ربي ويا ويلي كم أتوب وكم أعود وقد حان لي أن أستحي من ربي قال منصور فلما سمعت كلامه قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهلكم ناراً وقودها الناس والفجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً ومضيت لحاجتي فلما أصبحنا رجعت وإذا أنا بجنازة على الباب وعجوز تذهب وتجي فقلت لها من الميت فقالت لا تجدد علي أحزاني قلت إني رجل غريب فقالت هذا ولدي مر بنا البارحة رجل لا جزاه الله خيراً فقرأ آية فيها ذكر النار فلم يزل ولدي يضطرب ويبكي حتى مات قلت إنا لله وإنا إليه راجعون قلت هكذا والله صفة الخائفين يا ابن عمار سبحان من وفَّق للتوبة أقواماً وثبَّت على صيراتها أقداماً يا من ليس لي منه مجيرٌ بعفوك من عذابك أستجير إن تعذِّبني فبعدِك وإن ترحمني فأنت به جديرٌ إن علاج مشاكل الشباب والشيخ وأصحاب الهموم والغموم هو الفرار إلى الله بالانضمام إلى قوافل العائدين نعم الانضمام إلى قوافل العائدين العائدين إلى الله بعد طول غيابه الذين أحرقتهم الذنوب والمعاصي الذين جرَّبوا الحياة في الظلام ثم اكتشفوا النور الذين بدَّلوا ذلَّ المعصية بعزِّ الطاعة الذين انتصروا على النفس والهوى والشيطان وحزبه الذين آفروا الجنة على النار الذين ندموا على ما فرَّطوا في جنب الله قال صلى الله عليه وسلم أن ندم ثوبه قال بعضهم إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادماً حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليتني لم أوقعه في الذنب وقال طلق ابن حبيب إن حقوق الله أعظم من أن يقم بها العباد ولكن أصبح تائبين وأمس تائبين ليس عيب أن تخطئ لكن كل العيب أن تصر على الخطأ عيب أن تتمادى في الخطأ عيب أن تنسى فضل الله عليك عيب أن تنسى رقابة الله لك جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم فقال يا إبراهيم لقد أسرفت على نفسي بالذنوب والمعاصي فقل لي في نفسي قولاً بليغاً قال أعظك بخمس أعظك بخمس قال هات الأولى قال الأولى لا تأكل من رزق الله وعسل الله قال كيف يا

إبراهيم وهو الذي يطعم ولا يطعم قال عجباً لك تأكل من رزقه وتعصيه قال هات الثانية قال الثانية لا تسكن في أرض الله وعصي الله قال كيف يا إبراهيم الأرض أرضه والسماء سماؤه قال عجباً لك تأكل من رزقه وتسكن في أرضه وتعصيه قال هات الثالثة قال الثالثة اذهب في مكان لا يراك فيه الله وعصي الله قال أين يا إبراهيم وهو الذي لا تأخذه سنة ولا نوم قال عجباً لك تأكل من رزقه وتسكن في أرضه وفي كل مكان يراك ثم تعصيه قال هات الرابعة قال الرابعة إذا أتاك ملك الموت ليقبض الروح فقل له إني لا أموت الآن قال من يستطيع يا إبراهيم والله يقول إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون قال عجباً لك تأكل من رزقه وتسكن في أرضه وفي كل مكان يراك ولا تستطيع رد الموت إذا أتاك وتعصيه قال هات الخامسة قال الخامسة إذا جاءتك الزبانية ملائكة العذاب تأخذك إلى النار فاخذ نفسك إلى الجنة قال من يستطيع هذا يا إبراهيم قال عجباً لك تأكل من رزقه وتسكن في أرضه وفي كل مكان يراك ولا تستطيع رد الموت إذا أتاك ولا تملك لنفسك جنةً ولا نار ثم تعصيه قال اسمع يا إبراهيم أنا أستغفر الله وأتوب إليه أنا يا إبراهيم أستغفر الله وأتوب إليه فأعلنها توبةً وإنابةً وفراراً إلى الله أعلنها رجعةً وانضماماً إلى قوافل العائدين وأنت نعم أنت إياك أعني يا من تأكل رزقه وتسكن في أرضه وفي كل مكان يراك ولا تستطيع رد الموت إذا أتاك ولا تملك لنفسك جنةً ولا ناراً أما الآن أن تتوب وتستغفر علام الغيوب أما الآن أن تنضم إلى قوافل العائدين أما الآن لما أنت فيه متابه وهل لك من بعد الغياب إيابه تقضت بك الأعمار في غير طاعته سوى عمالٍ ترجوه وهو سراب وليس للمرء سلامة دينه سوى عزلةٍ فيها الجليس كتاب يعني القرآن كتابٌ حوى العلوم بكلها وكل ما حوى من العلوم صواب ففيه الدواء لكل داء فاضفر به فوالله ما عنه ينوب كتابه تعال نسمع أخبار أصحاب تلك القوافل ماضياً وحاضراً تعال نأخذ العبرة من قصصهم قصصٌ ممزوجةٌ بالندم والدموع قصصٌ مليئة بالسور والعبر يشكو أصحابها قبل الانضمام إلى قوافل العائدين من الهموم والغموم مآسٍ وآهات غرقوا في لجج المعاصي والمنكرات فمن خمور ومخدرات وفواحش ومنكرات وكانت النجاة بالفرار إلى الله والانضمام إلى قوافل العائدين الخبر الأول لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألبان عن أبي هشام الصوف رحمه الله قال أردت البصرة فجئت إلى سفينة أركبها وفيها رجلٌ معه جارية فقال لي الرجل ليس هاهنا موضع فسألته الجارية أن يحملني ففعل فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع فقالت الجارية ادعو ذاك المسكين ليتغدى معنا فجئت على أنني مسكين فلما تغدينا قال يا جارية هاتي شرابكي فشرب وأمرها أن تسقيني فقالت يا رحمك الله إن للضيف حقًا فتركني فلما دب فيه الشراب قال يا جارية هاتي عودكي وهاتي ما عندكي فأخذت العود وغنَّت ثم التفت إلي فقال أتحسن مثل هذا؟ فقلت عندي ما هو أحسن منه عندي ما هو أحسن منه وخير منه فقال قل قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت وإذا النجوم منكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البخار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا المهودة سئلت بأي ذنب قتلت وجعل الرجل يبكي حتى انتهيت إلى قوله وإذا الصحب نشرت فقال يا جارية يا جارية اذهبي فأنتي حرة لوجه الله تعالى ثم ألقى ما معه من الشراب وكسر العود ثم دعاني فاعتنقني وجعل يبكي ويقول يا أخي أترى أن الله يقبل ثوبتي؟ فقلت نعم إن الله يحب التوابين فقلت نعم إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قلت نعم وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فتاب واستقام وتبدل حاله وصاحبته بعد ذلك أربعين سنة حتى مات فرأيته في المنام فقلت له إلى ما صرت فقال إلى الجنة فقلت إلى الجنة قلت بماذا؟ قال بقراءتك علي إذا الصحب نشرت قال بقراءتك علي إذا الصحب نشرت فلا إله إلا الله كيف سيكون حالي وحالك إذا الصحب نشرت وإذا السماء كشفت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أذلفت علمت نفس ما أخبرت يومئذ تعرضون لا تخى منكم خافية فلا إله إلا الله إذا نطقت العينان وقالت أنا للحرام نظر لا إله إلا الله إذا نطقت العينان وقالت أنا للأغاني والحرام استمع ولا إله إلا الله إذا نطقت اليدان وقالت أنا للربا والحرام أخذ فلا إله إلا الله إذا نطقت الرجلان وقالت أنا للحرام مشي اليوم نختم على أقواههم وتكلمنا أيديهم وتجهد أرجوهم بما كانوا يكسبون وما كنتم تستثرون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أربعكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار متولهم فإن يصبروا فالنار متولهم وإن يستعجبوا فما هم من المعتبين وإن يستعجبوا فما هم من المعتبين مثل قلبك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور قد كورت شمس النهار وأضعفت حرا على رؤوس العباد تمور وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل استحاب تسير وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كذور وإذا العشار تعطلت عن أهلها خلت الديار فما بها معمور وإذا الوحوش لدى القيامة أحطرت وتقول للأملاك أين نسير فيقال سير تشهدون فضائحاً وعجائباً قد أحضرت وأمور وإذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلبه مذعور هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنوب دهور هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنوب دهور حتى ننجو ونفوز في ذلك اليوم ونفلح لابد من الفرار إلى الله بالانضمام إلى قوافل العائدين قال سبحانه وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون الخبر الثاني سبحان مغير الأحوال قال الراوي لقد تغير صاحبي نعم تغير ضحكاته الوقورة تصافح أذنيك كنسمات الفجر الندية وكانت من قبل ضحكات ماجنة مستهترة تسك الأذان وتؤذي المشاعر نظراته الخجولة تنم عن طهر وصفاء وكانت من قبل جريئة وقحة كلماته تخرج من فمه بحساب وكانت من قبل يبعثرها هنا وهناك تصيب هذا وتجرح ذاك لا يعبأ بذلك ولا يهتم وجهه هادئ القسمات تزينه لحية وقورة وتحيط به هالة من نور وكانت ملامحه من قبل تعبر عن الانطلاق وعدم المبالاة والاهتمام نظرت إليه وأطلت النظر في وجهه ففهم ما يدور في خاطري فقال لعلك تريد أن تسأل ماذا غيرك قلت نعم هو ذاك فصورتك التي أذكرها منذ لقيتك آخر مرة منذ سنوات تختلف عن صورتك الآن فتنهد قائلا سبحان مغير الأحوال قلت لابد أن وراء ذلك قصة قال نعم وسأقصها عليك ثم التفت إلي قائلا كنت في سيارتي على طريق ساحلي وعند أحد الجسور الموصلة إلى أحد الأحياء فوجئت بصبي صغير يقطع من أمامي الطريق فارتبكت واختلت عجلة القيادة من يدي ولم أشعر إلا وأنا في أعماق المياه رفعت رأسي إلى أعلى لأجد متنفسا ولكن الماء بدأ يغمر السيارة من جميع نواحيه مددت يدي لأفتح الباب فلم ينفتح هنا تأكدت أني هالك لا محال وفي لحظات لعلها ثوان مرت أمام ذهني صور سريعة متلاحقة هي صور حياة الحافلة بكل أنواع العبث والمجون وتمثل لي الماء شبحا مخيفا وأحاطت بي الظلمات كثيفة وأحسست بأني أهوي إلى أغوار سحيقة مظلمة فانتابني فزع شديد فصرخت في صوت مكتوم يا رب يا رب أم من يجيب المضطر إذا دعاه ودرت حول نفسي مادة ذراعي أطلب النجاة لا من الموت الذي أصبح محققا بل من خطايا التي حاصرتني وضيقت علي الخنار أحسست بقلبي يخفق بشدة فانتفضت وبدأت أزيح من حولي تلك الأشباح المخيفة وأستغفر ربي قبل أن ألقاه أحسست أن كل ما حولي يضغط عليك كأنما استحالت المياه إلى جذران من الحديد فقلت إنها النهاية لا محانة فنطقت بالشهادتين وبدأت أستعد للموت وحركت يدي فإذا بها تنفذ في فراغ فراغ يمتد إلى خارج السيارة وفي الحال تذكرت أن زجاج السيارة الأمام مكسور شاء الله أن ينكسر في حادث منذ ثلاثة أيام وقفزت دون تفكير ودفعت بنفسي من خلال هذا الفراغ خرجت من أعماق الماء فإذا الأضواء تغمرني وإذا بيحارج السيارة ونظرت فإذا جمع من الناس يقفون على الشاطئ

كانوا يتصايحون بأصوات لم أتبينها ولما رأوني نزل إثنان منهم وأخرجاني من الماء وقفت على الشاطئ ذاهلاً عما حولي غير مصدق أني نجوت من الموت وأني الآن بين الأحياء كنت أتخيل السيارة وهي غارقة في الماء فأتخيلها تختنق وتموت وقد ماتت فعلاً وهي الآن راقدة في نعشها أمامي لقد تخلصت منها وخرجت خرجت مولوداً جديداً لا يمدت إلى الماضي بسبب من الأسباب أحسست برغبة في الركض بعيداً والهرب من هذا المكان هذا المكان الذي دفنت فيه الماضي الدهس ومضيت مضيت إلى البيت إنساناً آخر غير الذي خرج قبل ساعات دخلت البيت وكان أول ما وقع عليه بصري صور معلقة على الحائط لممثلات وراقصات ومغنيات إن دفعت إلى الصور أمزقها ثم ارتميت على سريري أبكي ولأول مرة أبكي أحس بالندم أحس بالندم الندم على ما فرطت في جنب الباب فأخذت الدموع تنساب في غزارة من عيني وأخذ جسمي يهتز وبينما أنا كذلك إذا بصوت لطالما سمعته وتجاهلته إنه صوت الأذان إنه صوت الأذان يجلجل في الحضاء وكأني أسمعه لأول مرة وجلجلت الأذان في كل حي ولكن أين صوت من بلالي منائركم علت في كل ساحن ومسجدكم من العباد خالي يقول فانتفضت واقفاً وتوضأت وفي المسجد بعد أن أديت الصلاة أعلنت توبتي وجلست أبكي وأدعوا الله أن يغفر لي خطيئتي ومنذ ذلك الحين وأنا كما ترى قلت هنيئاً لك الذموع الحارة هنيئا لك الدموع الحارة وهنيئا لك الانضمام الى قوافل العائدين. قال سبحانه يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا. وقال صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم خطاء وخير الخطائن التوابون.

قال عمرو رضي الله عنه التوبة النصوح؟ ان يدنب العبد ثم يتوب فلا يعود فيه. وقال الحسن البصري التوبة النصوح ندم بالقلب. استغفار باللسان.

ترك بالجوارح. واذمار بان لا يعود. وقال يحيى ابن معاد علامة التائب اسبال الدمعة.

وحب الخلوة. والمحاسبة للنفس في كل همة. اللهم اجعلنا من التوابين.

واجعلنا من المتطاكرين. الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الخبر الثالث.

اترضى ان تكون مثل هذا شاب صالح يقول كان لي قريب بعيد. قربه النسب وابعده الدين. وبحكم اطلاعي على دقائق حياته وتفاصيل ايامه فقد تأكد لي انه لا يصلي مطلقا.

ومثله كثير. نصحته مرات ومرات لعله يتعجل في اصلاح امره. ويستقيم في صفوف المصلين.

ولكنه كان يقدم ويؤخر. ويظن ان العمر طويل والحياة دائمة. هلك المسوفون.

والمسوف الذي يقول سأتوب. وهو مسرٌ على الثمن. كم قلت له؟ كم ستعيش؟ عشرين ثلاثين بل ثمانين.

ثم ماذا؟ لابد من الرحيل من دار الغرور. طالت بك الايام ام قصرت عنك الليالي؟ وفي ليلة لم يتوقعها. في ليل مظلم.

استحوذ عليه الشيطان فانساه ذكر الله. اطلق قدميه تركض في اوحال المعصية. واوزار الجريمة.

الهته الامانية. وغرته نسمة الحياة. وبهجة الدنيا.

ومثله كثير. استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله. وفجأة على غير موعد نزل به نازل.

وطلق بابه طارق. ولم يكن هذا الضيف ليزوره الا هذه المرة فحسب. ولكنها زيارة ثقيلة.

مؤلمة. انه الزائر الذي لا يرد. حاول ان يؤخره.

ان يؤجله فلم يستطيع. اراد ان يتفاهم معه. فلم يستطيع.

اراد ان يدفعه بالدواء والطبيب. بالمال والاولاد. فلم يستطيع.

حاول بكل الوسائل الدفاعية. فلم يستطيع حيل بينهم وبين ما يشتهون. انتهى كل شيء.

هوت امال عظام. واحلام كالجبان. حشرج الصدر.

وضاقت الانفاس. وغادرة الروح. وامامه اسئلة سعاد.

وجنة ونار. هلك المسوفون. يقول الشاب لم يكن هو اول من غادر الحياة بهذه الصرعة من اسرتي.

ولم يكن هو الشاب الوحيد الذي فقدناه. ولكن كان لحياته فجيعة. ولموته عبرة.

وكان يوم موته وتغسيله والصلاة عليه. ثم دفنه يوما مشهودا. غاب عنه كثير.

وكنت اولهم. فكيف اصلي على من حرم الله عز وجل ورسوله الصلاة عليه. لم اصلي عليه طاعة وعبادة لله حتى تم كل شيء.

يقول الشاب ثم اجتمعت واقاربي في مجلس ضم الكثير واكثرهم عالم بامور الدنيا جاهل بامور الدين. كما قال الله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا. وهم عن الاخرة هم غافلون.

فقام احدهم شاهرا سيفه. ومصوبا سهمه. ورافعا صوته باستغراب يملأه الاستهزاء وهو يسمع الجميع.

اين انت عن صلة الرحم؟ والقيام بالواجب. فها هو فلان قد مات ولم نر لك اثر. ولم نعلم لك مكانه.

اتجهت نحوي العيون بالعثار. وتحركت الايد تلوم. والالسنة تقول اين انت عن واجب الصلاة والعذاب؟ واضاف احدهم مستهزئا تصلي وتصوم ولا تعرف الحقوق القريب وواجبات الاسرة واخذ المجلس يتحدث ويقول وانا لا ارد عليهم حتى اذا افرغوا سهامهم وانتهوا قلت للمتحدث الاول بصوت يسمعه الجميع ما رأيك لو صليت صلاة المغرب اربع ركعات هل يجوز ذلك؟ سكت ولم يجب وهو يحرك حاجبين ويهز يده باستغباء عجيب.

كررت واعدت السؤال وطلبت الاجابة منه بصوت مسموع حتى يسمع المجلس قال لي بعد تكرار السؤال عليه ثلاث مرات لا يجوز قلت له احسنت هذا امر الله ورسوله فنحن نطيع الله في هذا ونطيع رسوله صلى الله عليه وسلم ان الكتاب والسنة يأمرانا ان لا نصلي على من مات وهو لا يصلي وسماه كافرا رفعت صوتي والحق يعلو ولا يعلى عليه وانا افرغ سهما من كنانتي هل اسمع كلام الله ورسوله واطيع امرهما ام اسمع كلامك انت وهراءك استدرت نحو المجلس وانا اقول امرنا ان لا نصلي على من مات وهو تارك للصلاة ولا نغسله ولا ندفنه في مقابر المسلمين ولهذا لم اصلي عليه سمعا وطاعة لله ورسوله خيم صمت على المجلس واغمدت السيوف فقد ظهر الامر واضحا جليا قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا يقول الشاه مضت شهور فاذا كثير من شباب اسرتنا وقد سمع ورأى هذا الموقف يعيد حساباته ويراجع افعاله ويخشى ان يمر عليه يوم لا يجد فيه من يصلي عليه لقد كان هلاك هذا القريب رحمة لمن بعده وعبرة لمن خلفه ولا يزال يتردد في جنبات المسلمين قول الله عز وجل ولا تصلي على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر فقل لي بالله العظيم كيف حال الشباب اليوم مع صلاتهم كيف حال الشباب اليوم مع صلاتهم حال عجيبة قسم لا يصلي ولا يركع لا بليل ولا بنهار وقسم يقدم ويؤخر وينام يصلي متى ما شاء وكيف ما شاء ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين أما أنا لهؤلاء أن ينتظموا في صفوف المصلين وينضموا إلى قوافل العائدين خل الدكار الأربعي والمعهد والضاعين المرتبعي والضاعين المودعي وخل عنه ودعي واندب زمانا سلافا سوت فيه الصحفا ولم تزل معتكفا على القبيح الشنعي كم ليلتين أودعتها مآثم أبدعتها لشهوة أطعتها في مرتع ومضجعي وكم خطا حثتها لخزية أحدثتها وتوبة مكتها لملعب ومرتعي وكم تجرأت على رب السماوات العلار ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدعي وكم غمضت بره وكم أمنت مكره وكم نبذت أمره نفذ الحذى المرتعي ولم ركضت باللعب وفهت عمدا بالكذب ولم تراقب ما يجد عهده المتبعي فالبس شعارا ندمي واسكب شعابي بالدمي قبل زوال القدم وقبل سوء المصرعي وخضع خضوع المعترف ولد ملاذ المقترف وعص هواك وانحرف عنه انحراف المطلعي إلى متى تسهوتني ومعظم العمر فني فيما يضر المقتني ولست بالمرتدعي قال بعض الحكماء تعرف توبة الرجل بأربعة أشياء أولها أن يمنع لسانه من فضول الكلام من غيبة ونميمة وكذب ثانيها أن لا يحمل في قلبه حسدا ولا عداوة لأحد من المسلمين ثالثها أن يترك أصحاب السوء ولا يصاحب أحدا منهم الرابع أن يكون مستعدا للموت نادما على الذنب مستغفرا لما سبق من ذنوبه مجتهدا في طاعات ربه يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل ويرى نياط عروقها والمخ في العظام النحلي اغفر لعبد ثاب من زلافه ما كان منه في الزمان الأول الخبر الرابع طريق المخدرات طريق غرق فيه كثير من الشباب إلا من رحم الله يقول الشاب وهو يروي مأساته بعد أن أنهيت دراسة الثانوية عملت موظفا في إحدى الشركات التجارية وقد فصلت من العمل لكثرة تغيبي وعدم ضباطي عملت بعدها أعمالا مختلفة من بناء وتجارة وغيرها حتى استطعت أن أكون نفسي وأجمع مبلغا من المال وفي أحد الأيام عرض علي أحد الشباب فكرة استفر إلى إحدى الدول الأسيوية وكان يروي لي مغامراته ومشاهداته كان يجاهر بالمعصية والعياذ بالله يقول الشاب كان صاحبي يحدثني عن المتعة المحرمة وكأنه يغريني باستفر حتى عزمت عليه واستحوذني الشيطان فكان صاحبي أول المرحبين بل تكفل بشراء تذكرة استفر على أن أتكفل أنا هناك ببقية المصاريف وسافرنا هناك رأينا جموعا من الشباب ليس لهم هم إلا المتعة المحرمة اليوم الأقصى يشتكي والشباب يغرق في أوحال المعاصي والمنكرات هاهو الأقصى يلوك جراحهم والمسلمون جموعهم أحدهم يا ويلنا ماذا أصاب رجالنا أوما لنا سعد ولا مقداد يقول الشاب رأينا هناك جموعا من الشباب ليس لهم هم إلا المتعة المحرمة فتعلمت من الشباب التدخين وشرب الخمر ثم الزنا ثم تعاطي المخدرات خُضنا في كل الوحول القدرة حتى بلغنا الحضير ثم عُدنا

وبعد فترة جمعنا مبلغا آخر من المال ثم سافرنا إلى بلد آخر أشد فسادا وجربنا كل شيء وفي إحدى الليالي رفض أحد الشباب إعطائي حقنة المخدرات المعهودة فخرجت من الكندر وقابلت مجموعة من المروجين فدعوني إلى مقرهم فذهبت معهم وعرضوا علي أنواع كثيرة من المخدرات كنت أجهل بعضها ومدى تأثيره على الجسم وبعد فعاط المخدرات والمسكرات دعاني أحدهم إلى الغرفة المجاورة لممارسة الزنا بعد أن أمرني بدفع الثمن مقدما وكنت في سكر شديد لا أدري ما أصنع فقبلت العرض ولم أكن أدري أني أمشي برجلي إلى الهاوية ثم بعد أيام عدنا من السفر ومارست حياتي الطبيعية لكن شبح المخدرات كان يطاردني في كل مكان أصبح شبح المخدرات يطاردني في كل مكان وقد نصحني بعض المخلصين بالتوجه إلى المستشفى لتلقي العلاج فوعدتهم بالذهاب ولم أذهب توالت استفرار لممارسة تلك الأعمال المشينة التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتي البائسة المتدهورة حتى نفذت النقود فاحترفت السرقة من هنا وهناك تعلمت فنون النصب والإحتيال حتى أجمع لمتعتي المحرمة وفجأة شعرت بوعكة صحية فذهبت إلى المركز ذهبت إلى المركز الصحي بحثا عن العلاج وبعد تحليل عينة من ذمي أخبروني بأني حامل لفيروس الأيف أخبروني أني حامل لفيروس الأيف فضاقت الدنيا في وجهي يا للهول يا للمصيبة لقد ذهبت تلك اللذات وانقضت تلك الحسرات فلم يبقى إلا الآلام والحسرات وحسرتاه على أصحاب لم ينفعوا وحسرتاه على أحباب لم يشفعوا يا حسرتاه يوم طال السهر ولم أعد زادا للحفر يا حسرتاه على عمر مضى وزمان الولى وانقضى ولم أتقي فيه حر لظى يا حسرتاه إذا كشف الديوان بخطايا اللسان وزلات الجنان وقبيح العصيان يا حسرتاه إذا وضع الكتاب ونشر ما فيه من خطأ وصواب وعرض الشباب يا حسرتاه على صلاة أضعتها وزكاة منعتها وأيام أبطرتها يا حسرتاه على أوقات أهدرتها يا حسرتاه على ذنوب ارتكبتها وفواحش اقتربتها يا حسرتاه يوم لم يلهج لساني بذكره ولم تقم جوارحي بشكره يا حسرتاه يوم يفوز الصالحون بالدرجات يا حسرتاه يوم يهوي الظالمون في الدركات قال سبحانه وأنذرهم يوم الحسرة وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون يقول الشاب لقد ذهبت تلك اللذات وانقضت تلك المسرات فلم يبقى إلا الآلام والحسرات لم يبقى إلا الآثام والأوزار والتبعات تفنى اللذاذة ممن ذات صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار تبقى عواقب سوء فيما غبتها لا خير في لذة من بعدها النار هذه هي حكايتي باختصار وكل ما أعرفه أنني مصاب بمرض الأيت وأني أنتظر الموت وعلى الرغم من أني أسير إلى الموت سيرا سريعا فلا بأس فقد أفقت من غفوتي وأفقت من غفلتي وأنصح كل شاب عاقل بالالتزام بتعاليم الدين الحديد تلك التعاليم التي لطالما سمعناها ولم نتبعها إنما اتبعنا النفس والهوى والشيطان وقد خاب من أتبع نفته وهواها وتمنى على الله الأماني أقول لإخواني الشباب احذروا المخدرات والفواحش والمنكرات فإنها الهلاك الماحب احذروا من رفقة السوء فإنهم جنود إبليس اللعين يقول أستوذعكم الله الذي لا تضيع ودائعه فلعلكم فقرؤون كلماتي هذه وأنا تحت التراب فلعلكم فقرؤون كلماتي هذه وأنا تحت التراب فسأل الله لي الرحمة لعلكم فقرؤون كلماتي وأنا تحت التراب قد فارقت الروح الجسد وصعدت الروح إلى باريها فاللهم يا من وسعت رحمته كل شيء فاللهم يا من وسعت رحمته كل شيء ارحم عبدك الضعيف المسكين يا ربي إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلود ويستجير المجرم ما لي إليك وسيلة إلا الرجاء وجميل عفوك ثم أني مسلم لو رأيت التائب رأيت جبنا مقروحا تراه في الأسحار على باب الإعتذار مقروحا سمع قول الإله يوحي فيما يوحي توبوا إلى الله توبة نصوحا التائب مطعمه يسير وحزنه كثير ومزعجه مثير وكأنه أسير قد رمي مجروحا ولسان حاله يردد توبوا إلى الله توبة نصوحا التائب أنحل بدنه الصيام وأتعب قدمه القيام وحلف بالعزم على هجر المنام فبدل بدنا وروحا وهو يردد توبوا إلى الله توبة نصوحا التائب الذل قد علاه والحزن قد وهاه يذم نفسه على هواه وبهذا صار ممدوحا يردد ويعيد توبوا إلى الله توبة نصوحا التائب يبكي جنايات الشباب التي بها قد اسود الكتاب فإن من يأتي إلى الباب يجد الباب مبتوحا يردد ويقول قول الله توبوا إلى الله توبة نصوحا اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها الورق الخامس هدايتي على يدي يقول الشاب لم أكن قد بلغت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي ما زلت أذكر تلك الليلة كنت سهرانا مع الشلة في إحدى الشاليهات كانت سهرة حمراء بمعنى الكلمة كما يقولون أذكر ليلتها أني أضحكتهم كثيرا كنت أمتلك موهبة عجيبة في التقليد بإمكاني تغيير نبرة صوتي حتى تصبح قريبة من الشخص الذي أسخر منه أجل كنت أسخر من هذا وذاك لم يسلم أحد مني حتى شلتي صار بعض أصحابي يتجنبني كي يسلم من لساني وتعليقاتي اللابعة تلك الليلة سخرت من رجل أعمى رأيته يتسول في السوق والأدهى أني وضعت قدمي أمامه ليتعثر تعثر وانطلقت ضحكتي التي ذوت في السوق عدت إلى بيتي متأخرا وجدت زوجتي في انتظاري كانت في حالة يرثالها راشد قلت في المريخ ساخرا عند أصحابي بالطب كانت في حالة يرثالها قالت والعبرة تخنقها راشد أنا تعبة جدا الظاهر أن موعد ولادتي سار وشيكا سقطت دمعة صامتة على جبينها أحسست أني أهملت زوجتي كان المفروض أن أهتم بها وأقلل من سهراتي خاصة أنها في شهرها التاسع قاست زوجتي وقلت سلام يوم وليلة في المستشفى حتى رأى طفلي النور لم أكن في المستشفى ساعتها تركت رقم هاتف المنزل وخرشت اتصلوا بي حتى تعلموني الخبر ففعلوا اتصلوا بي ليزفوا لي نبأ قدوم سالمي حين وصلت للمستشفى طلب مني أن أراجع الطبيبة أي طبيبة المهم الآن أن أرى ابني سالمي لا بد من مراجعة الطبيبة قالوا لي أجابتني موظفة الاستقبال بحزن صدمت حين عرفت أن ابني به تشوه شديد في عينيه ومعاق في بصره تذكرت المتسول قلت سبحان الله كما تدين تدان لم تحزن زوجتي كانت مؤمنة بقضاء الله راضية طالما نصحتني طالما طلبت مني أن أكف عن تقليد الآخرين كلا هي لا تسميه تقليدا بل غيبة ومعها كل الحق لم أكن أهتم بسالم كثيرا اعتبرته غير موجود في المنزل حين يشتد بكاؤه أهرب إلى الصالة لأنام فيها كانت زوجتي تهتم به كثيرا وتحبه لحظة لا تظن أني أكرهه أنا لا أكرهه لكنني لم أستطع أن أحبه حين خطى خطواته الأول وحين أكمل الثانية اكتشفنا أنه أعرج كلما زدت ابتعادا عنه زادت زوجتي حبا وتعلقا بسالم حتى بعد أن أجبت عمرا وخالدا مرت السنوات وكنت لاهل غافل غرتني الدنيا وما فيها كنت كاللعبة في يد رفقة السوء مع أني كنت أظن أني من يلعب عليهم لم تيأس زوجتي من إصلاحي كانت دائما تدعو لي بالهداية لم تغضب من تصرفاتي الطائشة أو إهمالي لسالم واهتمامي بباقي إخوته كبر سالم ولم أمانع حين طلبت زوجتي تسجيله في أحد المدارس الخاصة بالمعاقين لم أكن أحس بمرور السنوات أيامي سواء ليل ونهار عمل ونوم طعام وسهر حتى ذلك اليوم كان يوم الجمعة استيقضت الساعة الحادية عشرة ظهرا ما يزال الوقت مبكرا أقول لكن لا يهم أخذت دشا سريعا لبست وتعطرت وهممت بالخروج استوقفني منظره منظر سالم كان يبكي بحرقه إنها المرة الأولى التي أرا فيها سالم يبكي منذ كان طفلا أخرج أم أرى مما يشكو سالم قلت لا كيف أتركه وهو في هذه الحالة أهو الفضول أم الشفقة لا يهم سألته لماذا تبكي يا سالم حين سمع صوتي توقف بدأ يتحسس ما حوله ما به يا ترى اكتشف أن ابني يهرب مني الآن أحسست به أين كنت منذ عشر سنوات تبعته كان قد دخل غرفته رفض أن يخبرني في البداية سبب بكائه وتحت إصراري عرفت السبب تأخر عليه شقيقه عمر الذي اعتاد أن يوصله إلى المسجد اليوم الجمعة خاف سالم أن لا يجد مكانا في الصف الأول نادى والدته لكن لا مجيب حينها حينها

وضعت يدي على فمه كأني أطلب منه أن يكف عن حديثه وأكمل حينها بكيت يا سالم لا أعلم ما الذي دفعني لأقول له سالم لا تحزن هل تعلم من سيرافقك اليوم إلى المسجد أجاب سالم أكيد عمر ليسني أعلم إلى أين ذهب قلت لا يا سالم أنا من سيرافقك أنا من سيرافقك استرخب سالم لم يصدق ظن أني أسخر منه عاد إلى بكائه مسحت دموعه بيدي وأمسكت بيده أردت أن أوصله بالسيارة رفض قائلا أبي المسجد قريب أريد أن أخطو إلى المسجد فإني أحتسب كل خطوة أخطوها يقول لا أذكر متى آخر مرة دخلت فيها المسجد ولا أذكر آخر مرة سجدت فيها لله سجدة هي المرة الأولى التي أشعر فيها بالخوف والندم الندم على ما فردت طوال السنوات الماضية مع أن المسجد كان مليئا بالمصلين إلا أني وجدت لسالم مكانا في الصف الأول استمعنا لخطبة الجمعة معا وصليت بجانبه بعد انتهاء الصلاة طلب مني سالم مصحفا استغربت كيف سيقرأ وهو أعمى هذا ما تردد في نفسي ولم أصرح به خوفا من جرح مشاعره طلب مني أن أفتح له المصحف على سورة الكهف نفت ما طلب وضع المصحف أمامه وبدأ في قراءة السورة إنه يحفى سورة الكهف كاملة وعن ظهر غيره خجلت من نفسي أمسكت مصحفا أحسست برعشة في أوصالي قرأت وقرأت ودعوت الله أن يغفر لي ويهديني هذه المرة أنا الذي بكى بكيت حزنا وندما على ما فردت ولم أشعر إلا بيد حنونه تمسح عني ذموعي لقد كان سالم يمسح ذموعي ويهدئ من خاطري عدنا إلى المنزل كانت زوجتي قلقة كثيرا على سالم لكن قلقها تحول إلى ذموع فرح حين علمت أني صليت الجمعة مع سالم منذ ذلك اليوم لم تفتني صلاة الجماعة في المسجد هجرت رفقاء السور وأصبحت إلى رفقة خيرة عرفتها في المسجد ذكت طعم الإيمان عرفت منهم أشياء ألهتني عن الدنيا لم أفوت حلقة ذكر أو قيام ختمت القرآن عدة مرات في شهر وأنا نفس الشخص الذي هجره سنوات رطبت لساني بالذكر لعل الله يغفر لي غيبتي وسخرية من الناس أحسست أني أكثر قربا من أسرتي اختفت نظرات الخوف والشفقة التي كانت تطل من عيون زوجتي الإبتسامة ما عادت تفارع وجه ابن سالم من يرى سالم يظنه ملك الدنيا وما فيها حمدت الله كثيرا وصليت له كثيرا على نعمه ذات يوم قررت أنا وأصحابي أن نتجه إلى أحد المناطق البعيدة في برامج دعوية مع مؤسسة خيرية فردت في الذهاب استخرت الله واستشرت زوجتي توقعت أن ترفض لكن حدث العكس فرحت كثيرا بل شجعتني حين أخبرت سالم عزمي على الذهاب أخاط جسمي بذراعيه الصغيرين فرحا ووالله لو كان طويل القامة مثلي لما توانى عن تقبيل رأسي بعدها توكلت على الله وقدمت طلب إجازة مفتوحة بدون مرتب والحمد لله جاءت الموافقة بسرعة أسرع مما تصورت تغيبت عن البيت ثلاثة أشهر كنت خلال تلك الفترة أتصل كلما سنحت لي الحرصة بزوجتي أحدث أبنائي لقد اشتقت لهم كثيرا لكني اشتقت أكثر لسالمهم تمنيت سماع صوته هو الوحيد الذي لم يحدثني منذ سافر إما أن يكون في المدرسة أو المسجد ساعة اتصالي بهم كلما أحدث زوجتي أطلب منها أن تبلغه سلام وتقبله كانت تضحك حين تسمعني أقول هذا الكلام إلا آخر مرة قلتها فيها لم أسمع ضحكتها المتوقعة تغير صوتها وقالت لي إن شاء الله أخيرا عدت إلى المنزل طرقت الباب تمنيت أن يفتح سالم لي الباب لكن فوجئت بابني خالد الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره حملته بين ذراعيه وهو يصيح بابا بابا انقبض صدري حين دخلت البيت استعدت بالله من الشيطان الرجيم سعدت زوجتي بقدومي لكن هناك شيء قد تغير فيها تأملتها جيدا إنها نظرات الحزن التي ما كانت تفارقها عادت مرة ثانية إلى عينيها سألتها ما بكي قالت لا شيء هكذا ردت فجأة تذكرت من نسيتم للحظات قلت لها أين سالمي خفضت رأسها ولم تجب لم أسمع حينها سوى صوت ابن خالد الذي ما زال يرن في أذني حتى هذه اللحظة قال أبي إن سالم راح عند الله في الجنة قال أبي إن سالم راح إلى الله في الجنة لم تتمالك زوجتي الموقف أجهشت في البكاء وخرجت من الغرفة عرفت بعدها أن سالم أصابته حما قبل موعد مجيئ بإسبوعين أخذته زوجتي إلى المستشفى لازمته يومين وبعد ذلك فارقته الحما حين فارقت روحه الجسد أحسست أن ما حدث ابتلاء واختبار من الله أجل إنه اختبار وأي اختبار صبرت على مصابي وحمدت الله الذي لا يحمد على مكلوه سواه ما زلت وحست بيده تمسح دموعي وذراعه تحيطني كم حزنت على سالم الأعماء الأعرج وحزنت لم يكن أعمى لم يكن أعمى أنا من كنت أعمى حين انسبت وراء رفقة السوء ولم يكن سالم أعرج لأنه استطاع أن يسلك طريق الإيمان رغم كل شيء لازلت أتذكر كلماته وهو يقول إن الله ذو رحمة واسعة سالم الذي امتنعت يوما عن حبه اكتشفت أني أحبه أكثر من أخوانه بكيت كثيرا وما زلت حزينا كيف لا أحزن وقد كانت هدايتي على يديه كيف لا أحزن وقد كانت هدايتي على يديه اللهم تقبشها لفي رحمتك اللهم إنا نسألك اكتبات حتى المات أبشر أيها التائب أبشر أيها العائد أبشر أيها المنظم إلى قوافل العائدين قال سبحانك إن الله يحب التوابين ويحب المتطفرين وقال جل في علاه فاتحا أبواب الرحمة قل يا عبادي الذين أسربوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وقال جل في علاه إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنا وكان الله غفورا رحيما وقال أعز من قائل إن الحسنات يذيبن السيئات وقال أرحم الراحمين وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال يا ابن آدم إنك ما دعوتني ولا رجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو ضلقت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم أتيتني بقراب الأرض خطايا لا تشرك في شيئا أتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالي ولا أبالي يا أرحم الراحمين أبشر أيها التائب أبشر أيها العائد أبشر أيها المنظم إلى قواف العائدين قال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له التائب من الذنب كمن لا ذنب له أبشر أيها التائب فإن الله يفرح بتوبة التائبين أنين المذنبين أحب إليه من سجع المسبحين يروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان فقال له إن للجنة تمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يغلق فأعمل ولا تيأس ولا تغلق من رحمة الله قال عبد الرحمن ابن أبي قاسم تذاكرنا مع عبد الرحمن توبة الكافر وقول الله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال إني لا أرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالا من الكافر ولقد بلغني أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام يروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصى الله عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيبة في لحيته فساءه ذلك فقال اللهم أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أتقبني فناداه ونادي أرحم الراحلين أحببتنا فأحببناك تركتنا فتركناك عصيتنا فأهلناك وإن رجعت إلينا قبناك وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات اعلم أن مما يعينك على تعجيل التوبة والإسراع في التوبة فالذي حال بين الناس وبين التوبة والصدق في التوبة هو طول الأمل ومن أطال الأمل أساء العمل قال الله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الأمل فسوف يعلمون وقال سبحانه أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون وقال سبحانه أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وفلين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اعلم أن مما يعينك على التوبة والإسراع فيها والمبادرة إليها هو ذكر الموت وساعاته نعم إن الموت قريب إن العمر مهما طال فهو قصير والدنيا مهما عظمت ففي حقيرة فاختر لنفسك النهاية التي ستمناها فلا إله إلا الله كيف سيكون حالي وحالك عندما يقال فلان ابن فلان لقد دنى الأجل وحانت ساعة الرحيل فصائح بأعلى الصوت وصائح بأعلى الصوت وطرباه وطرباه غدا نلقى الأحباه غدا نلقى الأحباه محمدا وصاحباه فاختر الحال التي تريدها يا رعاك

الله لما حضرت حسان ابن أبي سنان الوفاه قيل له كيف تجدك قال بخير إن نجوت من النار قيل له فما تشتهي قال ليلة طويلة أصليها كلها ودخل المزني على الشافع رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت عن الدنيا راحلا وللإخوان مبارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى ربي سبحانه وتعالى واردا ولا أدري روحي صائرة إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها لا أدري روحي إلى أين فصير إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها ثم أنشد ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفك سلما تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظم ما زلت ذو عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما فاعلم يا رعاك الله أن الآمال تطوى والأموال تفنى والأبدان تحت التراب تبلى اعلم يا رعاك الله أن الأيام والليالي تبليان كل جديد تقربان كل بعيد تأتيان بكل موعود ووعيد فانتبه يا رعاك الله انتبه من ربك من رزق الهجوع وافزع إلى الله بالتضرع والخشوع وقل أنا الأوان للانضمام إلى قوافل العائدين قالوا من رزق أربعا لم يحرم أربعا من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة وربكم يقول ادعوني أستجب لكم ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة وربكم يقول إنه كان غفارا ومن رزق الشكر لم يحرم المزيد وربكم يقول ولا إن شكرتم لأزيدنكم ومن رزق التوبة لم يحرم القبول وربكم يقول وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وختاما اعلم ان الحياة بدون الله سراب وان القلب لا يصلح الا بالله جل وعلا فاذا اقبل على الله تعالى يعني القلب اجتمع وانضم بعضه الى بعض ووجد نفسه وسلمت فطرته يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الى كم تعصي وتتمرد واقبح من طبيحك انك تتعبر يا ناصع التوب والقلب اسود ما هذا الامل ولست بمخلد اما تخاف من اوعد وتهدد يا من شاب وما تاب اين البكاء اين الحذر من أليم العقاب ما احلم الله علي حيث امهلني وقد تماديت في ذنبي ويسترني تمر ساعات ايامي بلا ندم ولا بكاء ولا خوف ولا حزني انا الذي اغلق الابواب مجتهدا على المعاصي وعين الله تنظرني يا زلة كتبت في غفلة ذهبت يا حسرة بقيت في القلب تحرقني دعني انوح على نفسي واندبها واقطع الزهر بالتذكير والحزني دع انت عدني يا من كنت تعدلني لو كنت تدري ما بي كنت تعدلني دعني اسحب دموعا لانقطاع لها فهلا عسى عبرة منها تخلصني اكتب قصة الرجوع بقلم الندم والدموع اكتب قصة الرجوع بقلم الدموع واسعي بها على قدم الخذوع الى باب الخشوع واتبعها بالعطش والجوع وسل الرحمة فرب سؤال مسموع قل ونادي في الأسحار والناس نيام يا أكرم من أمله المؤملون يا رجاء الخائفين يا أمل المذربين انطرتني فالى من أذهب يا رحيما بمن عصاه يا حليما على من تناساه يا من شيمته الصفح عصيتك جاهلا يا ذا المعالي ففرج ما ترى من سوء حالي إلى من يهرب المخلوق إلا إلى مولاه يا مولى الموالي فلله ذر أقوام فركوا فأصابوا وسمعوا منادي الله يدعو فأجابوا وحضروا مشاهد التقى فما غابوا واعتذروا مع التحقيق ثم تابوا ثم قصدوا باب مولاهم فما ردوا ولا خابوا اللهم سربنا في سرب النجابة ووفقنا للتوبة والإنابة وافتح لأدعيتنا الإجابة يا من إذا سأله المضطر أجابة اللهم تب علينا توبة نصوحا لا ننقذ عهدها أبدا واحفظنا في ذلك لنكون بها من جملة السعداء اللهم اقبل توبة التائبين واغفر دم بالمذنبين واقبل الشباب والشيم في قوافل العائدين اللهم ألهمنا القيام بحقك وبارك لنا في الحلال من رزقك ولا تفضحنا بين خلقك يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج يا قاضي الحاجات يا رفيع الدرجات يا مجيب الدعوات يا رب الأرض والعرش والسماوات هب لنا ما سألناه وحقق رجاءنا فيما تمنيناه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه الأخيار عدد ما طار طير وطار وعدد ما استغفر المستغفرون في الأسحار وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين